

الطب الاسلامي ومواجهة الأوبئة في العصر الوسيط

Islamic medicine and dealing with epidemics in the Middle Ages

رابح أولاد ضياف¹

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

rabah8662@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/11/18 القبول 2021/02/22 النشر على الخط 2022/03/15

Received 18/11/2020 Accepted 22/02/2021 Published online 15/03/2022

ملخص:

عرفت المجتمعات الإسلامية في العصر الوسيط أصنافا من الأوبئة الفتاكة ،مما دعا إلى اهتمام الأطباء والعلماء بالبحث عن العلل المسببة وكيفية تجنبها، مما شكل حركة علمية طبية لمواجهةها فاستطاعت أن تحقق قدم سبق إلى اقرار مسالك وقائية كالحجر الصحي ،وبناء المارستانات المتخصصة، وتشجيع العلماء على البحث في العلوم الطبية ، فكانت الرعاية الصحية في الحضارة الإسلامية تمثل استراتيجية دولة لذلك عرف المسلمون تقدما محترما في المجال الطبي في عصورهم الزاهية. فتوج البحث العلمي بإنتاج تراث طبي هائل ، ومصنفات كبرى وضعها ايقونات الطب أمثال الرازي وابن سينا وغيرهما ، كما أن العمائر الإسلامية الطبية الشاخصة التي أسسها المسلمون من مختلف المارستانات بالمشرق والمغرب والأندلس شاهدة على ذلك. فدراسة تاريخ الأوبئة يدعو للتساؤل حول أسباب حدوث أوبئة عالمية أهلكت خلق كثير في المجتمع الإسلامي والأوروبي وهل حدوث هذه الأوبئة يرتبط بأسباب بيئية أم لها أسباب أخرى تفسر من خلال الرؤية الدينية والعقدية؟

الكلمات المفتاحية: طاعون؛ عدوى؛ جذام؛ حجر؛ مارستان.

Abstract:

Islamic societies in the Middle Ages knew varieties of epidemics, which called for the attention of doctors and scientists to look for causative ills and how to avoid them, they took preventive measures such as isolation of health, building specialized hospitals, and encouraging scientists to research medical sciences, so health care in Islamic civilization represented a state strategy, so Muslims knew respectable progress in the medical field.

The study of the history of epidemics makes us wonder about the causes of global epidemics that have decimated many creation in The Islamic and European society and whether the occurrence of these epidemics is linked to environmental causes or other reasons explained through religious vision.

Keywords: Epidemic; preventive; Hospitals; environmental; health.

البريد الإلكتروني: rabah8662@gmail.com

¹ - المؤلف المراسل: رابح أولاد ضياف

1. مقدمة:

تعددت طرق مواجهة الأمراض والأوبئة التي استشرت في مجتمعات العصر الوسيط على حسب البيئة الجغرافية والمناخية والإمكانات الطبية المتاحة منذ بداية نشأة النظام الصحي في الدولة الإسلامية ، والمعلوم أن ظهور الأمراض والأوبئة ملازم للظاهرة الديمغرافية وتوزيعها العمراني كما أن الطبيعة المعمارية ومدى مطابقتها للمعطيات البيئية من حيث الماء والهواء والتعرض لأشعة الشمس ونسبة الرطوبة ، ومدى التزام الساكنة بشروط النظافة وقلة نسبة التلوث في الماء أو الهواء بانحباسه بوجود عوائق وغيرها كل ذلك له ارتباط بظهور الأمراض والأوبئة. لذلك انشغل الأطباء وعلماء المسلمين من حكماء وفقهاء ومؤرخين وغيرهم بالبحث عن العوامل والأسباب المثبطة والمشجعة على انتشار الأمراض والأوبئة لإيجاد العلاجات المناسبة لها ومكافحتها من أجل تلافيها، ومن خلال ما أورده المصادر في هذا المجال لاحظنا أن آرائهم مختلفة حول المسببات التي تؤدي إلى حدوث الطواعين المهلكة التي فتكت بالناس فتكا ذريعا ، لذلك كان عنوان البحث (الطب الاسلامي ومواجهة الأوبئة في العصر الوسيط).

من أجل ذلك فإن دراسة تاريخ الأوبئة والأمراض يدعو الباحث للتساؤل حول الأسباب المؤدية إلى حدوث أوبئة علمية أودت بحياة خلق كثير من الناس في المجتمع الاسلامي والاوربي من حيث هل حدوث هذه الأوبئة يرتبط بأسباب مادية تتعلق بالبيئة والإنسان أم لها أسباب أخرى لا نجد لها تفسيراً إلا من خلال الرؤية الدينية والعقدية؟ وما هي الوسائل التي واجه بها المسلمون هذه الأوبئة الفتاكة التي حلت بهم ؟ وما مدى تأثير هذه المعضلة في تطور البحث العلمي والعلوم الطبية في الحضارة الاسلامية؟

فالبحث الذي بين أيدينا هو عبارة عن دراسة تاريخية حول جهود علماء المسلمين في مكافحة الأوبئة التي تعرضت لها المجتمعات الاسلامية سيما الطواعين التي ما فتئت تفتك بالأرواح على مدار عصور من الزمن وقد قسمنا البحث إلى محورين ، المحور الأول تضمن الحديث عن آراء العلماء والأطباء حول أسباب حدوث الأوبئة والمحور الثاني حول جهود العلماء المسلمين في مكافحة الأوبئة والأمراض وقسم إلى أربعة عناصر العنصر الاول حول اجراء الحجر الصحي والثاني عن بناء المارستانات(المستشفيات) والثالث التأسيس للبحث في علم الأوبئة والأمراض والرابع عن التصنيف في علم الاوبئة والأمراض.

بداية سنستعرض أهم الآراء التي وردت في المصادر الطبية من طرف العلماء والأطباء حول أسباب حدوث الأوبئة وما خلصت إليه نظرهم:

2 -آراء العلماء والأطباء حول أسباب حدوث الأوبئة (Epidemics).

من أشهر الأطباء المسلمين الذين انشغلوا بالبحث والتصنيف في هذا المجال الأطباء الأندلسيين الذين صنفوا في الطواعين وتعرضوا لأسباب حدوثها مثل ابن خاتمة⁽¹⁾ الأندلسي وهو أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري المري(ت: 770هـ /1369م) فقيه مالكي وشاعر ومؤرخ وطبيب أندلسي فذ صاحب كتاب " تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد " حيث ظهر في سنة 749-750هـ/1348-1349م وباء في مدينة المرية الأندلسية عرف بالطاعون الجارف، انتشر في كثير من البلدان⁽²⁾ فاجتاح المشرق

¹ -بن الأحمر، المير أبو الوليد اسماعيل بن يوسف الغرناطي الأندلسي: نثر الجمان في شعر نظماني وإياه الزمان المشهور بأعلام المغرب والأندلس في القرن 8 هـ ، تحقيق محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، ط2، بيروت 1987، ص 175-176. لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة 1973، ص239 وما بعدها.

² - ابن كثير عماد الدين ابي الفدا اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 1998، ج18، ص502 وما بعدها.

والمغرب كما أصاب منطقة البحر الأبيض المتوسط وسماء الإفرنج الطاعون الأسود Black plague ، وهلك على إثره الكثير من أهل الأندلس وفي مقدمتهم الأعيان من رجال الدولة والعلماء من أمثال أبي الحسن علي بن الجياب (ت: 749هـ/1348م)⁽¹⁾ الذي كان يترأس ديوان الكتاب بغرناطة ، وأحمد بن محمد بن برطال القاضي (ت: عام 750 هـ 1349م)⁽²⁾.

حيث يرى ابن خاتمة أن أسباب ظهور الوباء ترجع إلى أسباب مباشرة وملازمة لمحيط الساكنة فتؤدي إلى فساد الهواء فيؤثر ذلك في حياة الناس وأجسامهم، وفسر ذلك بتغير الهواء في الأماكن الموبوءة بسبب ارتفاع أبخرة فاسدة متعفنة من السباح والبطائح المتغيرة مياهها والخنادق والأحافير الغائرة الراكدة الهواء والنباتات والبقول المتعفنة وأقذار الناس وفضلاتهم ، وكذا جثث قتلى الحروب التي لم تدفن وجيف الدواب وغيرها⁽³⁾.

وقد يكون اعتماد ابن خاتمة على هذا التفسير لأن الطاعون المذكور قد استشرى في أقاليم المشرق والمغرب والأندلس وفي أوروبا سيما الدول المطلة على المتوسط كما أنه عم في فصول السنة المختلفة مع اعتدال المناخ فيها من حيث نسبة هطول الأمطار وحدوث الرياح ، كما فسّر انتشار الوباء في مصر دون آخر إلى خصائصه الجغرافية وإلى اعتبار تساقط الأمطار وحركة الرياح ، وإصابة شخص دون غيره في المصر الواحد يتوقف على نمط الغذاء الذي اعتاده والذي سيورث آثاره على صحته ومزاجه ومن ثم يصنع فيه القابلية من عدمها في إصابته بالعدوى⁽⁴⁾.

وقد عرف ابن خاتمة بقاهر الطاعون لما كتبه من تحقيق وقيدته من ملاحظاته الخاصة عن وباء الطاعون في مصنفه "تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد" وقد رتبته على عشر مسائل تعرض فيها عن حقيقة وباء الطاعون وأسبابه القريبة والبعيدة وعن كونه يصيب قوما دون آخرين رغم المشاركة في نفس الظروف الحياتية والعمرانية ، كما ضمن مصنفه الحديث عن كيفية انتقاله بالعدوى (Infection) ويعد هذا المبحث أهم ما ورد في الكتاب ، ووضّح كيفية الاحتراز منه وتجنبه ، وأشار إلى ما ينبغي فعله حال نزوله بأرض كما تعرض فيه عن ما ورد في الشرع الاسلامي في شأن الطاعون ، وبسط البحث في مسألة النهي عن قدوم الأرض التي حل بها وكذا الخروج منها وما معنى قوله صلى الله عليه وسلم (لا عدوى ولا طير) وكيفية الجمع بين هذا النص والأثر الوارد في شأن النهي عن دخول الارض التي بها الطاعون والخروج منه فضلا عن فوائد تاريخية في تاريخ الطواعين التي أصابت المشرق والأندلس⁽⁵⁾.

وقد وافق رأي ابن خاتمة كل من لسان الدين ابن الخطيب صاحب "مقنعة السائل عن المرض الهائل" ، بالقول أن فساد الهواء من أسباب حدوث الطواعين والأوبئة حيث ورد في المصنف المذكور "مقنعة السائل" (قولنا فساد الهواء الخاص نعي به هواء البيت الذي يصيبه،

¹ - أ بن الأحمر ، المصدر السابق ، ص 130.

² - ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج 1 ، ص: 247 . 267 .

³ - ابن خاتمة المري الاندلسي ، تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد ، ص 360 أنظر محمد كرد علي (تعريف بكتاب) مجمع اللغة العربي بدمشق مجلد 17 الجزء 7.

⁴ - ابن خاتمة ، المصدر السابق ص 361-362.

⁵ - أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السلماني الغرناطي ، مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل ، تحقيق حياة قارة ، دار الأمان ، الرباط ، ط 1 ، 1436هـ/2015م ، ص 19.

ثم هواء القرية مثلاً عند استحكامه مع سلامة ما يجاوره تحرزا من فساد الهواء العام، لوجود السلامة في الجاور ولو كان فسادا عاما لبحر الهواء كما يفسد بحر الماء في الغدر⁽¹⁾.

والطبيب محمد بن علي بن عبد الله اللخمي الشقوري كان حيا سنة 776هـ/ 1374م صاحب " تحقيق النبأ في أمر الوباء " الذي لم يصل منه إلا مختصر " الرسالة " وقد أخبر عنه في " تقييد النصيحة " فقال : (هذا هو الكلام في هذه النصيحة على ما شرطته ، وقد بسطت هذا بأوعب منه في تأليفي المسمى تحقيق النبأ عن أمر الوباء)⁽²⁾.

وقد تضمن مؤلفه " تقييد النصيحة " على نصائح طبية للوقاية من الوباء ونصائح علاجية للمصابين به وقد أشار إلى ذلك في قوله (وإني رأيت أن أثبت في هذا العارض الوبائي نصيحة لإخواننا المسلمين ، جعلها الله خالصة لوجهه ، ومقربة من رحمته)⁽³⁾.

فقد وافق الشقوري ابن خاتمة في القول بعلّة فساد الهواء في ظهور الطاعون وتفشي ما نصه (سببه فساد ميثوث في الهواء المتنفس فيه ، فلذلك أمر الأطباء بإصلاح الهواء وهو من أكد الأشياء ، ولا يعرف الهواء والحاجة إليه الكثير من الناس، وإنما يعتريه أمر يضيق نفسه من تعب شديد أو مرض في آلات التنفس ، ثم إن هذا الفساد يقع في الأبدان ويؤثر فيها تأثيرا عظيما حسبما شوهد منه)⁽⁴⁾.

ولقناعة الشقوري بكون علّة فساد الهواء سببا في تفشي الوباء جعله يؤكد في مصنفه تقييد "النصيحة" على أمرين الأول ضرورة اصلاح الهواء ومنع مسببات فساده والثاني إصلاح الأبدان بالغذاء والدواء ونبه على ضرورة التغذية السليمة ليتحمل البدن المرض وإذا عزف المريض عن الأكل يجبر على ذلك ويأكل قسرا⁽⁵⁾.

ومن الذين أيدوا فرضية فساد الهواء وقالوا بها وصنفوا في الأمراض والأوبئة صاحب " المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية " أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن هيدور التادلي (ت: 816 هـ/ 1413 م) حيث لخص في مصنفه آراء الحكماء والعلماء في الأمراض التي كان سببها فساد الهواء والأغذية غير الصحية التي لا تكسب الجسم القدرة الكافية على تحمل الأمراض ومقاومتها، كما شخّص أنواع الوباء من حيث وتيرة انتقاله وسرعة انتشاره ، حيث يرى أن ما كان ينتشر بسرعة ويعم ناسا أكثر سمي بالطاعون الوبائي أو المرض الوافد ، ويعلل ابن هيدور سبب وقوعه بفساد الهواء وتعفنه ، وفساد الأغذية ، أو منهما معا وهو الأكبر والأشد والطامة الكبرى.

ومن العلماء أيضا الذين صنفوا في شأن الأوبئة وبحوثا في مسبباتها أبو عمرو محمد بن منظور القيسي (ت: كان حيا سنة 887هـ)⁽⁶⁾.

صاحب " وصية الناصح الأود في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد " ضمنها فصلا يتحدث فيه عن اصلاح الهواء والمسكن والحركة والسكون و الأطعمة والأشربة وهي أمور وأساسيات لا بد منه لتحمي الوقاية من الأمراض وحال حدوثها.

¹ - نفسه، ص 78.

² - نفسه، ص 22.

³ - نفسه، ص 22.

⁴ - نفسه، ص 22.

⁵ - نفسه، ص 23.

⁶ - إمام فقيه وقاضي بغرناطة له فتاوى مذكورة في المعيار ، كان حيا سنة 887هـ. أحمد بابا التنبكي (ت: 1036هـ) ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تح: عبد الحميد عبد الله الهدامة، دار الكتاب ، طرابلس، ط 2 2000 ، ص 558.

بينما يفند ابن حجر العسقلاني هذا السبب في كون فساد الهواء يؤدي إلى ذلك معللاً رأيه بأن الطاعون قد يظهر حتى في البلاد الأنقى هواء وأحسن الفصول اعتدالاً في قوله (يرد على من زعم منهم أو من غيرهم أنه من فساد الهواء إشكال وقد تكلم عليه ابن القيم في الهدى وأبطله من أوجه منها وقوعه في أعدل الفصول وأصح البلاد هواء وأطيبها ماء)⁽¹⁾، لأن لو كان فساد الهواء سبب للمرض فإنه لا يستثني أحداً من الناس وحتى الحيوان لأنهم شركاء في الهواء بينما نجد مصراً دون آخر ولا يصيب جميع الناس، حيث يرى وكأن الطاعون يخضع إلى طبيعة لا يمكن قياسها والاستدلال عليها أو استشرافها ويرجع ذلك إلى عدم ثبات موجاته من حيث المكان والزمان فجاء في قوله بالنص (لو كان من الهواء لعم الناس والحيوانات ونحن نجد الكثير من الناس والحيوان يصيبه الطاعون وبجانبه من جنسه ومن يشابه مزاجه ولم يصبه، وشوهد يأخذ أهل بيت واحد بأجمعهم ولا يدخل بيتاً بجوارهم أصلاً)⁽²⁾.

فابن حجر وضع مصنفاً عن الطاعون سماه «بذل الماعون في فضل الطاعون» فهو يعتمد على الدليل الشرعي في تعليل أسباب حدوث الطاعون كما جاء في النص الذي أوردته كتب الحديث عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فناء أمتي بالطعن والطاعون. قال: فقلنا: يا رسول الله، هذا الطعن قد عرفناه، فما الطاعون؟ قال: طعن أعدائكم من الجن وفي كل شهادة). لذلك فسّر أسباب حدوث الطاعون أنه ناتج عن وخز الجن⁽³⁾.

وقد عضد ابن حجر رأيه بما أوردته من نصوص من أقوال لعلماء مسلمين كابن القيم وابن إسحاق للتدليل على تسلط الجن على الإنس بالطاعون، كما ضمن كتابه قصص وحكايات ليثبت من خلالها أن الطاعون من وخز الجن⁽⁴⁾.

بينما ابن خلدون فقد دعم القول بفساد الهواء وعلاقته بحدوث الطاعون من خلال تفسيره لأسباب فساد الهواء والعوامل المؤدية إلى ذلك لتكون سبباً في ظهور الطاعون وتفشيته، حيث جعل من كثرة العمران وما يخالطها من العفن والرطوبات الفاسدة تؤدي إلى فساد الهواء الذي هو غذاء الروح بفساده يسري ذلك إلى مزاج الإنسان، وإذا كان الفساد قويا وقع المرض في الرئة حيث أن الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة، وأن الفساد إذا كان دون القوي والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر الحميات في الأمزجة وتمرض الأبدان ومرد ذلك كله إلى كثرة العمران وتداخلها وقلة تعرضها إلى أشعة الشمس وعدم تعرضها للتهوية الكافية وانحباس الهواء فيؤثر ذلك سلباً على مزاج الفرد وصحته⁽⁵⁾.

كما أن مرويات مصادر التاريخ الإسلامي العامة هي بدورها تؤيد فرضية فساد الهواء ودوره في حدوث الطواعين حيث ذكر ابن كثير أنه عند اجتياح المغول لمدينة بغداد وتدميرها في سنة 656هـ / 1258م: (تعطلت المساجد والجماعات والجموعات مدة شهر ببغداد،... ولما انقضى الأمر المقدر وانقضت الأربعون يوماً بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الرياح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون)⁽⁶⁾.

¹ - الحافظ بن حجر العسقلاني، بذل الماعون في فضل الطاعون، تح: عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة الرياض، ص 105.

² - العسقلاني، المصدر السابق، ص 105.

³ - العسقلاني، المصدر السابق، ص 109 وما بعدها.

⁴ - العسقلاني، المصدر السابق، ص 109 وما بعدها.

⁵ ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، ضبط ومراجعة خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001، ص 109-114.

⁶ - ابن كثير، المصدر السابق، ج 17، ص 362.

3- جهود العلماء المسلمين في مكافحة الأوبئة والأمراض:

1.3.1- الحجر الصحي:

أسهبت مصادر التاريخ الإسلامي في الحديث عن النوازل والحن التي حلت بالمسلمين في مختلف العصور سيما الكوارث التي تحل بسبب الأوبئة والأمراض من الطواعين التي كانت تظهر غالبا على رأس كل عشر سنوات أو خمس عشرة سنة أو عشرين سنة تقريبا، فتذهب بأرواح الآلاف من الناس.

لذلك بادر المسلمون حكاما وعلماء وأطباء إلى اتخاذ تدابير للوقاية ومواجهة الأوبئة والأمراض معتمدين على ما جاء في الإسلام من حث على النظافة وحماية النفس من الأمراض بإتباع هدي القرآن الكريم والسنة النبوية، ففي طاعون عمواس تعامل الصحابة بوصية النبي صلى الله عليه وسلم عمليا عن الطاعون: (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها⁽¹⁾) وهي دلالة واضحة على ما يعرف اليوم بالعزل والحجر الصحي كإجراء أولي على مواجهة الأوبئة والأمراض، فان وقعت الأوبئة يحجر على المرضى ببقائهم بأرض الوباء ومنع خروجهم منها حتى لا ينتقل إلى أقاليم أخرى عن طريق العدوى، وألا يدخل الأصحاء إلى الأرض الموبوءة فيصيبهم المرض.

وقد تم تطبيق هذا المبدأ الوقائي عمليا اعتمادا على هذا الحديث في طاعون عمواس⁽²⁾ سنة 18 هـ/639 م، وامتنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن دخول بلاد الشام لما بلغه ما حل بها من الطاعون وهو يقصد دخوله إليها، وقد ساء بعض الصحابة ما قام به عمر ظنا منهم بأنه فرار من القدر سيما أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فبين له عمر بقوله نفر من قدر الله إلى قدر الله وفي الأمر تفصيل عند فقهاء الإسلام في الجواز وعدمه في مسألة الخروج من الأرض الموبوءة للحاجة أو للتداوي أو الرحيل وغيرها من الأحوال والمقاصد. فالتوكل وحسن الاعتقاد مطلوب عند حلول الأوبئة دون ترك العمل بالأسباب لذلك أمر عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أبا عبيدة بالتوجه إلى المواقع المرتفعة حيث تكون أنقى وأصفى هواء وأن يتجنب الأرض المنخفضة حيث تتركز المياه ويتلوث الهواء فتكون أدعى للمرض وهي إضافة في تدابير الوقاية من الأمراض.

وقد ذهب هذا الطاعون بأرواح كثيرة من الناس ففي الشام قدر عدد الموتى نحو ثلاثين ألف ومات فيه بعض الصحابة مثل أبي عبيدة ثم تولى بعده معاذ بن جبل فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص، فقام فيهم خطيبا، فقال: أيها الناس، إن هذا الوباء إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار، فتحصنوا منه في الجبال، قال: ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا، ودفعه الله عنهم فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأي عمرو بن العاص فما كرهه، ولما انتهى إلى عمر مصاب أبي عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، أمر معاوية على جند دمشق وخراجها، وأمر شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها⁽³⁾.

¹ - البخاري، صحيح البخاري (باب ما يذكر في الطاعون)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج 4، ص 14

² - عمواس: وهي من أرض فلسطين بالقرب من بيت المقدس ومنها كان ابتداء الطاعون زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم فشا في أرض الشام. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر ، ج 4 ، ص 157.

³ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ج 4، ص 62.

3. 2- بناء المارستانات (المستشفيات): ومع تجدد موجات الطاعون على مدار عقود من الزمن واستشرائه في أغلب الأمصار الإسلامية في العراق والشام ومصر والمغرب والأندلس إلى جانب الأوبئة والأمراض الأخرى التي فتكت فتكا ذريعا بأرواح الناس لذلك ظلت بحوث وانشغالات العلماء والأطباء المسلمين تترا من أجل كشف أسباب هذه الأوبئة وكشف الترياق المناسب لها والبحث في كيفية تلافيها والاستشعار بما فكان لهم باع طويل في هذا المجال وعلى أساسه إنبنى البحث العلمي في مجال الطب عند الأوروبيين إلى فترات قريبة بما انتقل إليهم من علوم المسلمين سيما ما كان من العلوم الطبية.

لذلك عمل الأطباء المسلمون على عزل المريض والحجر عليه حتى لا تنتقل العدوى إلى الأصحاء كمرضى الجذام وغيرهم ممن تعثر بهم الأمراض المعدية من خلال إقامة مارستان لهم يعرف بمارستان المجذومين و إن أول مجذمة عرفت في تاريخ الطب الإسلامي هي مجذمة الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (ت: 96هـ/715م) بدمشق، ثم انتشر هذا النوع من الإقامات الصحية لرعاية المرضى المجذومين حتى لا يخرجوا ويحتلوا بالناس، فيتم عزلهم حتى لا تنتقل العدوى إلى غيرهم، من أجل ذلك أمر الوليد بن عبد الملك بحبسهم وأجرى عليهم الأرزاق⁽¹⁾. وهذا من حرص الإسلام على حماية الصحة العامة ودفع الضرر، فالحجر الصحي أمر مشروع في الإسلام، لذلك يجوز عزل المريض مرضا معديا عن الناس، ورخص الإسلام في عدم السلام عليه أو الاختلاط به، وقصة الرجل الذي جاء لبيعة النبي صلى الله عليه وسلم المشهورة دليل على ذلك، حيث لم يسمح له بالدخول إلى مجلسه بعد أن قبل بيعته وذلك حرصا على الصحة العامة، وقال (اجعل بينك وبين المجذوم قدر رمح أو رمحين) وقال (وفر من المجذوم كما تفر من الأسد).

ثم تطور مارستان المجذومين في العهد العباسي، فقد بنى الخليفة المأمون

(198-218 هـ/ 813-833 م) بيوتا للحجر الصحي للمجذومين وجعلهم في أماكن خاصة بهم بعيدة عن السكان الأصحاء، وهذا النوع من المارستانات هو مارستان متخصص وثابت إما أن يكون مستقلا أو تخصص أجنحة خاصة لمرضى الجذام ولا يسمح لمن فيها بالاختلاط ببقية أجنحة البيمارستان الأخرى حتى لا تنتقل العدوى إلى بقية المرضى⁽²⁾.

وتعد المجازم التي أقامها المسلمون أول المصحات التي كان لها السبق للتخصص في معالجة مرض الجذام، وقد عولج فيها المجذومين معالجة علمية هذا إذا تم تشخيص المرض مبكرا، أما إذا استحكمت استعصى علاجه، وعلامات الإصابة بهذا الداء الخبيث ملاحظة تغير لون العين من الحمرة إلى السواد وضيق في التنفس وبحة في الصوت، كما يعتري المريض فساد في أخلاقه من تبه وحقد وتكثر في نومه الكوابيس وتساقط شعره وتشقق الأظافر وتجهم الوجه وجمود الدم في المفاصل وتعفنه، كما تظهر علامات أخرى بقدر تمكن المرض من الجسم، وكانت تلك المصحات تقدم العلاج المجاني لمرتابيها⁽³⁾.

ومن التدابير والإجراءات التي اتبعها المسلمون لمكافحة الأمراض والأوبئة ومعالجتها إلى جانب الحجر الصحي والعزل الوقائي بناء المارستانات حيث سجل المسلمون قدم السبق في هذا المجال فلم تكن موجودة عند اليونان والرومان بالمستوى الذي كانت عليه عند المسلمين إلا

¹ - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط2، القاهرة، 1968.

² - يوسف العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1982م، ص44.

³ - حبيب مصطفى عز الدين: جوانب من التاريخ الحضاري للطب والصيدلة في الأندلس خلال عهدي المرابطين والموحدين، جامعة محمد الخامس، 1998-1999، ج2، ص411.

بيوتات لرعاية العجزة والمسنين والجرحى من الجيش⁽¹⁾ وتقريبا نفس الحال الذي كانت عليه أوروبا في العصر الوسيط ، لذلك كان الاهتمام بالصحة العامة إستراتيجية الدولة في الإسلام وليست تدابير عارضة.

فاتخاذ الممارسات بغرض التداعي والرعاية الصحية ظهر في عصر مبكر في الحضارة الإسلامية ، تخبرنا المصادر التاريخية أن في غزوة الخندق اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خيمة لمعالجة الجرحى⁽²⁾ ويعد ذلك بمثابة النواة الأولى التي إنبت عليها فكرة إقامة دار للمرضى والمصابين والذي عرفت فيما بعد بالمارستان.

وظل الطب بملاحه البسيطة في العصر الراشدي يعتمد على الأعشاب والنباتات الطبية وعلى الكي والحجامة في بعض الأحيان إلى غاية العصر الأموي حيث بداية إرهابات نشأة منظومة صحية متكاملة الأركان حيث رافق الإرادة السياسية استثمار الخبرات الطبية بالاعتماد على المؤلفات الإغريقية في هذا المجال واشتغال بعض الأطباء ممن لهم دراية بالأدوية والسموم من أمثال ابن آثال وأبو الحكم الدمشقي الذين ترددوا على البلاط الأموي⁽³⁾.

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان بدأ التأسيس الفعلي للمارستانات، فقد أنشأ معاوية مارستانا إسلاميا في عاصمة الدولة الأموية دمشق سنة 60 هـ/679 م تحت المؤذنة الغربية من الجامع الأموي، كما عمد معاوية إلى اتخاذ مارستانات ميدانية لمعالجة الحجيج وعين لهم الأطباء⁽⁴⁾.

وفي عهد الوليد بن عبد الملك (86-96 هـ/705-714 م) تم بناء مارستان أسكن فيه العميان وحبس المجذومين أن يخرجوا على الناس خشية أن تنتشر العدوى بين العامة⁽⁵⁾.

أما العصر العباسي فقد شهد نخضة حقيقية على مستوى المنشآت الصحية التي عرفت تطورا كبيرا بسبب الاهتمام الذي أولاه السلاطين والأمراء والأعيان والميسورين بما رصدوا لها من الأموال والرعاية الأمر الذي ساهم بشكل إيجابي في تطور الخدمة الطبية بهذه المنشآت . سيما في العصر العباسي الأول فقد أبدى الخلفاء عناية فائقة في هذا المجال ، فقد شيد الخليفة المنصور (136-158 هـ/753-774 م) دارا للعجزة والأيتام ومعالجة المجانين قال في حفل افتتاحها (إني أكرس هذا المارستان للرفيع والوضيع، وأقف هذا الوقف لمنفعة الملك والمملوك، وللجندي والأمير، وللعظيم والحقير، وللرجال والنساء)⁽⁶⁾.

¹ - فرج محمد الهوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، مصراتة، 1986، ص193.

² - ابن هشام أبو محمد جمال الدين الحميري المعافري: السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط2، القاهرة ، 1375 هـ/1955 م ، ج2، ص239.

³ - رابع أولا دضياف ، الجراية في الدولة الإسلامية من صدر الاسلام الى سقوط بغداد 1 هـ/656 هـ ، جامعة باتنة 2015 م ، ص212-213.

⁴ - القلقشندي أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق يوسف الطويل، دمشق، ط1، دار الفكر ، 1987، ج1، ص431.

⁵ - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص195.

⁶ عبد الحميد العلوجي، تاريخ الطب العراقي، بغداد ، مطبعة أسعد، 1967، ص136. وقد أشارت الدكتورة حنيفة الخطيب إلى أنه يبدو أن العلوجي الذي نسب هذا النص خطأ إلى الخليفة المنصور العباسي، قد توهم في ذلك، وهذا النص ينسب إلى الملك المنصور قلاوون الذي بنى المارستان المنصوري بالقاهرة، وقال في حفل افتتاحه: "...ثم استدعى-أي المنصور- قدحا من شراب المارستان وشربه وقال: قد وقفت هذا على مثلي فمن دوني وجعلته وقفا على الملك والمملوك والجندي والأمير، والكبير والصغير، والحر والعبد، والذكور والإناث". حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1986، ص203.

كما شيد الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م) مارستانا ببغداد بكامل تجهيزاته وجعل على رئاسته الطبيب الشهير "جبرائيل بن بختيشوع" الذي استقدمه من مدرسة جانديسابور فأصبح هذا المارستان محورا للنشاط والتقدم الطبي، وجعل في بعض أقسامه مكانا بمثابة كلية طبية لتعليم الطلبة الراغبين في مهنة الطب وتعلم العلوم الطبية، كما أنشأ مارستانا آخر ببغداد تحت رعاية البرامكة⁽¹⁾ وأنشأ أيضا الخليفة المعتصم (218-227هـ/833-841م) مارستانا ببغداد عرف بالمارستان الصاعدي أو العتيق وكان يرعاه بنفسه من حيث الإنفاق وتعيين من يقوم على خدمة المرضى والعاملين به⁽²⁾

ولما كان بناء منظومة صحية إستراتيجية دولة لذلك كانت مدعومة من قبل الخلفاء ورجال الدولة ، واستمرت هذه الإستراتيجية على مدار عهود الخلافة العباسية ، وفي عهد الخليفة المقتدر (295-319هـ/907-931م) ازداد الاهتمام بالمؤسسات الصحية وإنشائه⁽³⁾ ، لذلك أمر سنة 295هـ / 907م ببرنامج إصلاح يشمل كل مارستانات الدولة وإعادة تجهيزها بما تحتاجه من الأدوية والمواد الغذائية التموينية⁽⁴⁾ ، وإعادة النظر في شروط الانتساب إليها من الأطباء لتجنب الأخطاء الطبية بسبب الخطأ في التشخيص أو صرف الأدوية غير المناسبة⁽⁴⁾، وإعادة النظر في شروط الانتساب إليها من الأطباء لتجنب الأخطاء الطبية بسبب الخطأ في التشخيص أو صرف الأدوية غير المناسبة للمرض باشتراط أن لا يوظف بها إلا من اجتاز امتحان الكفاءة بالمارستان المنتسب إليه ، كما شيد المقتدر المزيد من المارستانات في أماكن متعددة، وقد زادت بعد ذلك وتطورت وقد اشتملت بغداد وحدها على ما يقارب العشرة وبلغت المائة في سائر الأمصار الإسلامية، مثل أنطاكية ودمشق وحلب والقاهرة والقدس ومدن إسلامية أخرى⁽⁵⁾.

وقد كان لهذه المارستانات الدور الفعال في التكفل بالمرضى سيما في زمن الأوبئة الفتاكة كالطواعين، ففي عهد الخليفة المقتدر بأمر الله (468-487هـ/1075-1094م) حيث تعرضت بغداد وما جاورها إلى موجة عنيفة من الطاعون سنة 478هـ / 1085م فعجز الأطباء عن وصف العلاج له لا من المسخّنات ولا من المبرّدات فاستحر الموت في الناس من جرائه إلى حد أن الميت يمكث اليوم واليومين لا يجد من يجهزه غسلًا وتكفينًا ودفنا، فخصص المقتدر مكانا لدفن الموتى وهي ضبعة تعرف بالأجمة فامتألت بالقبور، كما انتشر الجذري فأصاب الأطفال وشق على الناس ما حل بهم من القحط ، فأسعفت الدولة المرضى بالأدوية واستقبالهم والتكفل بهم⁽⁶⁾.

¹ - أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1981 ، ص178. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص196.

ضيف الله يحيى الزهراني، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية من سنة (132 هـ/ 243 هـ)، مكتبة الطالب الجامعي، ط1، مكة، 1986، ص410.

² - ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم السعدي الخزرجي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص416.

³ - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2004، ج23، ص28.

⁴ - الزهراني، ضيف الله يحيى، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية من سنة (132 هـ/ 243 هـ)، مكتبة الطالب الجامعي، ط1، مكة، 1986، ص411.

⁵ - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص302. مؤمن أنيس عبد الله البابا: البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية، الجامعة الإسلامية ، غزة، 2009، ص19.

⁶ - ابن الجوزي: المنتظم، ج16، ص240. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص20.

كما أنشأ الخليفة المستنصر بالله (623-649 هـ/ 1226-1251 م) مارستاناً بمكة بالجانب الشمالي من المسجد الحرام سنة 627 هـ/ 1229 م وآخر بالمدرسة المستنصرية سنة 638 هـ/ 1240 م⁽¹⁾.

كما عرفت الدولة الطولونية والسلجوقية والإخشيدية والفاطمية والأيوبيّة والزنكية بناء العديد من المارستانات على غرار العاصمة بغداد وبقية الأقاليم الإسلامية الأخرى.

وقد تنوعت هذه المارستانات حسب الأمراض والمرضى المنتسبين إليها ومن حيث كذلك كونها متنقلة أو ثابتة، فمن حيث الأمراض فقد تخصص بعضها كمارستانات المجذومين وهي خاصة بالإقامات الصحية لمرضى الجذام حتى لا يخرجوا ويختلطوا بالناس فيعزلون خشية العدوى وهو ما يعرف بالحجر الصحي اليوم ويقدم لهم العلاج العلمي والمجاني.

ومارستانات المسجونين في إطار الاهتمام بالحالة الصحية للمساكين في خلافة المقتدر بالله كتب إلى رئيس الأطباء ثابت بن قرة والمشرّف العام على المؤسسات الطبية من أجل اتخاذ التدابير اللازمة للاعتناء بصحتهم وتخصيص مارستانات لهم وتشكيل لجان طبية لزيارة المساكين والإطلاع على الحالة الصحية لهم وتقديم العلاج المناسب والأدوية للمرضى منهم، كما جعل للمجانين والمرضى عقلياً ونفسياً مارستانات خاصة للتكفل بهم وفق أساليب علمية دقيقة، لحمايتهم من الإهمال والاعتداء عليهم وتبنى مارستانات المجانين بكيفية تتماشى مع طبيعتهم بتأمين حجراتهم بقضبان وشبابيك حديدية كمارستان القاهرة الذي بناه الناصر صلاح الدين الأيوبي⁽²⁾.

وقد حظي المرضى المجانين برعاية فائقة من أجل مساعدتهم على استعادة حالتهم النفسية العادية والتماثل للشفاء، فكان يقدم لهم أفضل الأطعمة وأطيب العطور ويعاملون معاملة حسنة، واتخذ لكل مريض مرافق يطوف به في الحدائق الخضراء المزهرة ويقرأ عليه القرآن ويخصص له خادمان لتغسيله وإلباسه ثيابه وقد يؤخذ للاستماع إلى الموسيقى الهادئة، وإلى جانب ذلك فقد طال الاهتمام بالصحة العامة الغريبة المرضى الذين لا مأوى لهم يقيمون فيه فلا يكونوا عرضة للتهميش والإهمال فيتم التكفل بهم وبصحتهم⁽³⁾.

كما اهتمدى الطب الإسلامي والاهتمام بالصحة العامة إلى اتخاذ مارستانات متخصصة في الإسعاف وهي مارستانات ميدانية متنقلة تكون في الأماكن العامة المكتظة بالناس سيما في أوقات الصلوات كالجُمُع والمواسم والأعياد التي كثيراً مما تتعرض صحة الناس للخطر بسبب أحداث معينة، فتقدم الإسعافات للمصابين في حينها من طرف فريق متخصص يترأسه طبيب ومعه بعض الأعوان، وقد ظهر هذا النوع من المارستانات الميدانية في مختلف حواضر الدولة الإسلامية مثل بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها من الأمصار⁽⁴⁾.

3.3- التأسيس للبحث في علم الأوبئة والأمراض:

¹ - السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر محمد سابق الدين خن الخضيرى الأسيوطي (ت: 911 هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، القاهرة، 1967، ص 413. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص20.

² - المقرئ، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: 845 هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997، ص267. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص214-215. البرهاوي، رعد محمود، خدمات الأوقاف في الحضارة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن العاشر الهجري، الجمع العلمي، بغداد، 2002، ص195-196.

³ - المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن يحيى أبو العباس التلمساني (ت: 1041 هـ)، نفع الطبيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، 1997، ج7، ص383. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص218. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص55.

⁴ - أحمد عيسى بك: المصدر السابق، ص72. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص223.

ومن بعض رواد هذا المجال في العلوم الطبية المتعلقة بالأمراض الفيروسية *Maladies virales* أبو بكر الرازي (ت: 311هـ/ 923م) طبيب وكيميائي وفيلسوف ورياضيًّا مسلم بلغت شهرته الآفاق، وله الكثير من الرسائل في شتى مجالات الأمراض وكتب في كل فروع الطب والمعرفة في ذلك العصر.

وقد تعرض الرازي في كتابه المشهور (الحاوي) بالحديث المفصل عن مرض الجذام *Leprosy* من حيث أعراضه وطرق العدوى الناقلة له، وهو مرض مزمن ومعدي تسببه بكتيريا *Bactéries Bacillus* يصيب الجلد والأعصاب المحيطة والغشاء المخاطي للجهاز التنفسي العلوي وكذلك العينين، وقد تطول أعراضه إلى عشرين سنة، يؤدي إلى تلف الأعصاب في الذراعين والساقين ومناطق الجلد حول الجسم وغيرها من الأعراض، وهو من الأمراض القديمة قدم الإنسان، و ينتقل بين الأشخاص عن طريق العدوى بواسطة الرذاذ الأنفي. وله آراء محكمة في التشخيص والتداوي فمن مآثره (مهما قدرت أن تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية، ومهما قد أن تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب)⁽¹⁾.

وكذا أيقونة عصره في العلوم الطبية والأمراض أبو علي الحسين بن عبد الله المعروف بابن سينا المتوفى سنة 427 هـ/ 1035 م الذي أشار إلى الأسباب التي تؤدي إلى الطاعون الفتاك كالطاعون الأسود وقدم نصائح لتجنبه والوقاية منه كما أكد على أن كل الأوبئة المعدية سببها أجسام صغيرة غير مرئية وهو ما اصطلاح عليه في العصر الحديث بالفيروسات تدخل الجسم فتصير أعداد هائلة فتظهر آثارها على الجسم بالحمى فلما تتغلب عليه تؤدي إلى الوفاة، كما أشار إلى طرق انتقالها إلى الجسم عن طريق اللمس أو التصاقها بظاهره أو على مستوى الشعر واللباس.

ومن أهم الانجازات الطبية له أنه كان له السبق في تشخيص داء الفيلايا وكيفية انتشاره في جسم الانسان، كما وضع وصفا للجمره الخبيثة التي سماها النار المقدسة، وغيرها من الأمراض الفتاك كالحصبة والجذري والجذام وهو أول من قال بالعدوى الوراثية⁽²⁾ وقد دعا ابن سينا إلى ضرورة الاعتماد على عزل المريض عن الأصحاء مدة أربعين يوما لتجنب العدوى وأصبح أمرا مطلوبا ومؤكدا في الطب الحديث الذي اصطلاح عليه بالحجر الصحي.

3.4- التصنيف في علم الأوبئة والأمراض:

شهدت البلاد الإسلامية أزمت ومحن كبيرة عبر تاريخها الطويل بسبب الجوائح والأوبئة والأمراض المعدية ومن أهمها الطاعون الذي ما فتئ يحل ببلادهم ففتك بهم فنكا ذريعا وفي كثير من الأحيان لم يستثن إقليما من البلاد الإسلامية سواء بلاد الشام أو مصر والعراق والمغرب والأندلس، فأودى بحياة ألوف من الناس وهذا ما حدا بالمؤرخين المسلمين إلى تقييد مشاهداتهم وتدوين الأخبار لتلك الأوبئة وما تركته في حياة الناس مثل المقرئزي وابن تغري بردي وابن كثير وابن إياس وابن بطوطة والونشريسي وغيرهم كثير مستعرضين ما تركته هذه الأوبئة من آثار وخيمة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وغيرها من المستويات.

ومن الذين كتبوا في الطاعون وكانوا ضحايا له أو ماتوا بسببه :

¹ - ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان، بيروت، دار صادر. ج5، ص158.

² - توفيق الطويل، في تراثنا العربي الاسلامي، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص 207.

أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي المعروف بابن أبي الدنيا المتوفى سنة 281 هـ / 894 م⁽¹⁾ الذي صنف كتابا في الطاعون المعروف بـ (كتاب الطاعون) وذكره الذهبي في السير بـ (الطواعين)⁽²⁾ حيث يعتبر هذا الكتاب من أول ما صنف في الطاعون، وكذلك صلاح الدين الصفدي⁽³⁾ الذي توفي بالطاعون سنة 764 هـ / 1362 م الذي جمع أشعارا متعلقة بالطاعون ، حيث استحر الوباء والطاعون بمصر في هذه السنة هلك على اثر ذلك كثير من الناس والأعيان كقاضي القضاة وكتب الحكم بن الفرات وطائفة كثيرة من اليهود وكذا زين الدين عمر بن المظفر المعروف بابن الوردي عمر بن المظفر بن عمر بن محمد أبو حفص المؤرخ⁽⁴⁾ القاضي الأجل والإمام الفقيه والأديب الشاعر المتوفى سنة 749 هـ / 1348 م الذي ألف في الطاعون كتابا سماه (النبأ عن الوباء)، و تاج الدين بن عبد الوهاب السبكي الذي توفي سنة 771 هـ / 1369 م الذي له مؤلفات عديدة منها كتابه عن الطاعون الذي يعرف بكتاب جزء عن الطاعون وقد كان هذا الوباء سببا في وفاته.

وكذا الأديب الشاعر شهاب الدين أحمد بن حجلة التلمساني المتوفى سنة 776 هـ / 1374 م الذي توفي بوباء الطاعون وقد صنف كتابا سماه (الطب المسنون في دفع الطاعون). كما عايش ابن حجر العسقلاني ت: 852 هـ / 1371 م كثير من المحن بسبب الطواعين التي فتكت بيناته الثلاثة عالية وفاطمة في طاعون سنة 819 هـ / 1416 م ، وابنته الكبرى زين خاتون في طاعون سنة 833 هـ / 1429 م الأمر الذي دعاه إلى تأليف كتابه (بذل الماعون في فضل الطاعون). وغيرهم من المؤرخين والعلماء الذين قضوا بسبب الطواعين.

خاتمة:

ومما تقدم عرضه يمكن استخلاص النتائج الآتية:

- أن الأوبئة ترجع إلى أسباب ملازمة لمحيط الساكنة فتؤدي إلى فساد الهواء فيؤثر ذلك على حياة الناس وأجسامهم فتظهر فيهم الأمراض.
- أن الأوبئة حال وقوعها تكون العدوى واختلاط الناس سببا لانتشارها وهذا ما نفسر به سبب انتشار الطواعين في المشرق والمغرب والأندلس وأوروبا في العصر الوسيط.
- أن عوامل البيئة لا تؤثر على انتشار الأوبئة في مختلف الاقاليم في العصر الوسيط رغم اعتدال المناخ من حيث الرطوبة والحرارة ونسبة هطول الامطار وحدوث الرياح وغيرها.
- أن اصابة الأوبئة لبعض الاشخاص دون آخرين في البلد الواحد يتوقف على نمط الغذاء الذي اعتاده كل فرد الذي سيورث آثاره على صحته ومزاجه ومن ثم يصنع فيه القابلية من عدمها في اصابته بالعدوى.
- أن علماء المسلمين من أطباء وحكماء كانوا السابقين إلى اعتماد الحجر الصحي كوسيلة للوقاية من انتشار الأوبئة و الأمراض المعدية معتمدين على ما جاء في تعاليم الاسلام من الدعوة إلى عدم دخول الارض الموبوءة وعدم الخروج منها.

¹ - ابن الجوزي المصدر السابق ، ج12، ص341-342، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد، تح عواد معروف، دار الغرب الاسلامي ، ط1، 2001، ج11، ص293-295.

² - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح شعيب الأرنؤوط وعلي أبو زيد ، مؤسسة الرسالة ، ط1، 1983، ج13، ص403.

³ ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 ، 1982 ، ج11، ص15.

⁴ - الزركلي، خير الدين ، الأعلام، بيروت ، دار العلم للملايين ، بيروت، ط2002، ج15، ص5، ج67.

- اتخاذ المسلمين منشآت صحية تعرف بالمارستانات تحاكي المستشفيات الحديثة من حيث الأغراض الطبية ، وهي اقامات صحية تقدم فيها خدمات طبية مجانية للمرضى.
- أن الرعاية الصحية في الحضارة الإسلامية كانت تمثل استراتيجية دولة لذلك عرف المسلمون تقدما محترما في المجال الطبي في عصورهم الزاهرة.
- وضع المسلمون شروطا علمية جادة في ممارسة مهنة الطب والانتساب إليها من أجل مكافحة الاخطاء الطبية والدجل في هذه المهنة المهمة والصعبة.
- أن جميع فئات المجتمع استفادت من الخدمات الطبية من مرضى عاديين أو مجانين أو غرباء أو مجندين وغيرهم.
- ظهور ما يعرف بالمستشفيات الميدانية المتنقلة في مختلف حواضر الدولة الإسلامية.
- أن الأطباء المسلمين يعزى إليهم قدم سبق في اكتشاف وتشخيص الأمراض التي تتسبب فيها الفيروسات فتشكل أخطر الأمراض الفتاكة مثلما عليه الحال اليوم وما يعيشه العالم من جراء فيروس كوفيد 19 (الفيروس التاجي) كورونا.

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

- 1- بن الأحمر، المير أبو الوليد اسماعيل بن يوسف الغرناطي الأندلسي، نثر الجمان في شعر نظماني وإياه الزمان المشهور بأعلام المغرب والأندلس في القرن 8 هـ ، تحقيق محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، ط2، بيروت 1987.
- 2- ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم السعدي الخزرجي ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- 3- البخاري، صحيح البخاري(باب ما يذكر في الطاعون)، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- 4- ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 ، 1982.
- 5- التنبكي أحمد بابا ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تح: عبد الحميد عبد الله الهدامة، دار الكتاب ، طرابلس، ط2 2000.
- 6- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن التيمي البكري ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العربية ، ط1، بيروت ، 1992.
- 7- الحموي، ياقوت ، معجم البلدان، دار صادر .
- 8- ابن خاتمة المري الأندلسي، تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، ص360 أنظر محمد كرد علي (تعريف بكتاب) مجمع اللغة العربي بدمشق مجلد 17 الجزء 7.
- 9- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد، تح عواد معروف، دار الغرب الاسلامي ، ط1، 2001.
- 10- ابن الخطيب لسان الدين ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة 1973 .
- 11- ابن الخطيب لسان الدين ، مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، تحقيق حياة قارة، دار الأمان، الرباط، ط1، 1436هـ/2015م.
- 12- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، ضبط ومراجعة خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001.
- 13- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان، بيروت، دار صادر.

- 14- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء ،تح شعيب الأرنؤوط وعلي أبو زيد ،مؤسسة الرسالة ، ط1، 1983.
 - 15- السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر محمد سابق الدين خن الخضيرى الأسيوطي(ت: 911 هـ) ،حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، ط1، القاهرة، 1967 .
 - 16- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر.
 - 17- العسقلاني،الحافظ بن حجر، بذل الماعون في فضل الطاعون،تح: عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة الرياض.
 - 18- القلقشندي أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق يوسف الطويل، دمشق، ط1، دار الفكر ،1987.
 - 19- ابن كثير عماد الدين ابي الفدا اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 1998.
 - 20- المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن يحيى أبو العباس التلمساني ،نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت ، 1997.
 - 21- المقرئ، أحمد بن علي بن عبد القادر(ت: 845 هـ) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1997 .
 - 22- النويري ،شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ،نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ،2004.
 - 23- ابن هشام أبو محمد جمال الدين الحميري المعافري، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط2، القاهرة ، 1375هـ/1955م.
- 2- المراجع:**
- 1- رابع أولا دضياف ،الجرية في الدولة الاسلامية من صدر الاسلام الى سقوط بغداد 1هـ/656 هـ ، جامعة باتنة 2015 م .
 - 2- البابا، مؤمن أنيس عبد الله ،البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية، رسالة ماجستير ،الجامعة الإسلامية ، غزة ،2009.
 - 3- البرهاوي، رعد محمود، خدمات الأوقاف في الحضارة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن العاشر الهجري ، الجمع العلمي، بغداد ، 2002.
 - 4- الخطيب حنيفة ،الطب عند العرب، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1986.
 - 5- الزركلي، خير الدين ،الأعلام، بيروت ، دار العلم للملايين ، بيروت، ط2002، 15.
 - 6- ضيف الله يحيى الزهراني: النفقات وإدارتها في الدولة العباسية من سنة(132 هـ/243 هـ)، مكتبة الطالب الجامعي، ط1، مكة، 1986.
 - 7- عز الدين ،حبيب ،جوانب من التاريخ الحضاري للطب والصيدلة في الأندلس خلال عهدي المرابطين والموحدين، جامعة محمد الخامس ، 1998-1999 .
 - 8- توفيق الطويل ، في تراثنا العربي الاسلامي، عالم المعرفة، الكويت، 1998.
 - 9- العش، يوسف ، تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر المعاصر، بيروت ، 1982م.
 - 10- العلوجي، عبد الحميد ،تاريخ الطب العراقي، بغداد ، مطبعة أسعد، 1967.
 - 11- عيسى، أحمد بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1981 .

12- الهوني، فرج محمد، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، مصراتة، 1986 .